الغربال| العدد «10» | 1 حزيران 2013
نصف شهرية ناقدة منوعة | تصدر في كفرنبل

www.algherbal.com
info@algherbal.com
www.facebook.com/algrbal

الغربال
معاً لأجل سوريا

عدسة محمد الباشا - نازحون

على الغربال

الحرية التي نريد...

«هاي الحرية يلي بدكن إياها»، لم تعد هذه العبارة التي انفردت بها وسائل إعلام نظام الأسد؛ مقتصرة عليه اليوم، إذ بات يردّدها كثير من أبناء المناطق «المحرّرة» كلما استولى أحدهم على بعض الأملاك العامة، وكلما أُغلقت مدرسة ليفتتح مكانها مقر لتشكيل عسكري وهمي، وكلما قُطعت شجرة لتتحول ذهباً في جيوب تجار الدم، وكلما سُرقت سيارة واقتلع صاحبها من داخلها وفوهة البندقية مصوّبة بين عينيه، وكلما أُطلقت رصاصة عنجهية في شوارعنا وكلما وكلما...

«هاي الحرية يلي بدكن إياها» ... لا يا أصدقائي، هذه ليست هي الحرية التي نريد، بل إنها ليست حرية أصلاً ولا تمت لها وللثورة بصلة.

الحرية ليست أن نتحوّل إلى قطيع من الذئاب يأكل بعضنا بعضاً، وليست فلتاناً وانتهاكاً لكل أعراف المجتمع.

الحرية أن نحترم بعضنا وأن نصون حقوق بعضنا ومصالح بعضنا بقوة الحب وبقوة القانون والمواطنة لا بقوة الحذاء العسكري!

الحرية أن نمتلك من الجرأة ما يؤهّلنا لنشير إلى الخطأ أياً كان صاحبه، وأن نقوّم هذا الخطأ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

الحرية أن نقف في وجه من ركب الثورة مطية له ولأزلامه كما وقفنا في وجه نظام امتهن كرامتنا وحقوقنا أربعين سنة.

الحرية أن نعمل ونعمل ونعمل لا أن نكتفي بالتنظير وانتظار فشل الآخرين.

الحرية ثورة، ثورة إسقاط أنظمة الطغيان المتربعة في ذواتنا، أكثر مما هي ثورة لإسقاط أنظمة مجرمة.

مدير التحرير
محمد السلوم

الأراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن كاتبها
ولا تعبر عن موقف المجلة بالضرورة

قضيّة

مخابز دمشق الحكومية

فاطمة ياسين

بدأت أزمة الخبز في مدينة دمشق منذ أكثر من سنة، حيث أن النقص الحاد في مادة الطحين وارتفاع أسعارها بشكل ملحوظ إلى جانب اكتظاظ المدينة بالسكان النازحين من معظم المحافظات، والأهم من ذلك استغلال البعض لهذه الظروف؛ شكّل أعباء كثيرة على المواطنين، فقد أصبح الحصول على ربطة خبز يحتاج من الجهد والوقت أكثر مما يحتاجه سباق ماراثون عالمي لقطع آلاف الأميال.

أظهرت لنا الأزمة شخصية أسطورية تجسّدت في معاون رئيس الوزراء ووزير التجارة الداخلية وحماية المستهلك (السيد قدري جميل) كحلاّل للمشاكل الاقتصادية المترتبة على الأزمة «كونه كان قد تسلّم منصبه لهذا الغرض» فوضع خططاً مرحلية وخمسية للقضاء على المشاكل الاقتصادية السورية التي أوجدتها «الحرب الكونية» التي تستهدف البلاد، ابتدأت بالتفكير في كيفية إعادة تأهيل خطوط الكهرباء وشبكات البنى التحتية، ولم تنته بتحديد أسعار السلع في الأسواق المحلية.

وبالنسبة لأزمة الخبز -باعتبار أنها الأكثر حيوية وإلحاحاً- لم يكتف (جميل) بوضع الخطط النظرية لحلها، بل انتقل بشكل سريع إلى الفعل الميداني، وشكّل لجاناً شعبية مهمتها مراقبة انتظام الناس بالدور والمحافظة على «أمن المواطنين» هناك، وعين على رأس كل مسؤول أمني موجود على المخبز مسؤولاً آخر يراقب أداءه ويكتب التقارير عن سير توزيع الخبز.

وبالفعل فقد أدى منع باعة الخبز الجوالين من التواجد بقرب الأفران للبيع بشكل حر وبسعر ٥٠ ليرة سورية لربطة الخبز بدل سعرها الحقيقي ١٥ ليرة، إلى تخفيف الضغط كثيراً، ذلك أن وجود هؤلاء الباعة كان سبباً رئيسياً في خلق الازدحام على جميع الأفران، لأنهم كانوا، وبالاتفاق مع الخبازين، يحصلون على معظم الخبز الموجود في المخبز (التابع للدولة) ليعودوا لبيعه للمواطن بسعر يعادل أكثر من ثلاثة أضعاف سعره الحقيقي.

وقد أظهر السيد (قدري) قدرته في أول أيام توليه لمهامه بهذا الاتجاه، وبرز بين أوساط المؤيدين والرماديين بوصفه خبيراً اقتصادياً يملك مخزوناً كبيراً من الخطط تمكّنه من حلّ جميع مشكلات البلد الحالية والمستقبلية.

ولكن، وبعد مرور أسابيع قليلة على هذا الحل السحري، ما لبث أن عاد الحال لأسوأ مما كان عليه من قبل، فالربطة التي كانت تباع خارج الفرن ب ٥٠ ليرة أصبحت ب١٠٠ ليرة، فالقسمة لم تعد بين البائع الحر والخبّاز فقط، بل بات للمسؤول الأمني وللمسؤول عن مراقبته حصة من الغلة أيضاً... وأصبحت مهمة أولئك المسؤولين تسهيل حصول الباعة على الخبز بدلاً من المواطن الذي عاد للانتظار لساعات وساعات قبل الحصول على ربطة خبز، والغريب أننا لم نعد نسمع من السيد (قدري) أي تصريح عن أن مشكلة خبز المواطن هي مشكلة ملحة تأتي بالدرجة الأولى بالنسبة له ويجب حلّها بأسرع ما يمكن، ولا أستبعد أن يكون السبب في صمته الحالي عن المشكلة وانخفاض مستوى صراخه عن ما هو مهم وما هو أهم بالنسبة لحكومته أن السيد (قدري جميل بنفسه أصبح يتقاسم الغلة أيضا مع البائع والخباز ومسؤولي المراقبة!

الصورة من الانترنت

قضيّة

النجاح بقوة السلاح

فريق التحرير

قبل «التحرير» كان أبناء عناصر الأمن وأجهزة المخابرات المختلفة يحظون بمعاملة خاصة في المدارس وينالون دائماً درجات كاملة أو قريبة من الكمال، هذه الحال كانت في الماضي، أما الآن وقد منّ الله علينا بالتحرير والخلاص فالحال اختلفت كلياً. إذ يكفي اليوم أن يكون الطالب ابن عنصر في «كتيبة أمنية» ما؛ حتى يقلب مدرسة كاملة رأساً على عقب، ويغير السياسة التعليمية بكل ما فيها.

خاص - الغربال
معظم مدارس المناطق المحررة لا تختلف عن حال مدرسة ذي قار في كفرنبل

هذا ماحدث في إحدى ثانويات المناطق المحررة، فالمدرسة التي قرر كادرها التدريسي والإداري جعلها مدرسة نموذجية؛ اصطدمت بواقع مختلف تماماً وانتهت تجربتها الطموحة نهاية محزنة.
فالالتزام بالتدريس على أصوله انقلب خيانة للثورة وعمالة لنظام الأسد والبعث، ولم يتوانَ بعض طلاب المدرسة عن التوجه إلى الكتيبة الأمنية في القرية ليقدموا شكوى ضد المدرسة لأن أسئلة الامتحان كانت صعبة! الأمر الذي استدعى تدخل الكتيبة الفوري لإحقاق الحق، فدخل عناصرها بسلاحهم قاعات الامتحان وبدؤوا البحث عن ورقة إجابة لطالب نبيه ليتم تعميم إجاباته على الطلاب جميعاً!
وعندما فشل مسعاهم قاموا بطرد الطلاب من قاعات الامتحان وأعلنوا أن الجميع ناجح، ولم يتأخر أحد العناصر عن «تخريس» إحدى الطالبات التي أرادت أن ترى ثمرة جهد حقيقي بذلته طوال شهور عديدة.
مدير المدرسة الذي التقته الغربال أكد لنا أنه قال لعناصر الكتيبة: «لن ينجح إلا من يستحق النجاح» فكان الجواب: «الكل بدو ينجح بالصرماية»...! وهكذا كان.
إذ تمّ استئناف الامتحانات في اليوم التالي مع تعديل بسيط، تم من خلاله استبدال الأسئلة بالإجابات ونجح الجميع بقوة السلاح!
العقل المدبر لكل هذه الفوضى كان ابن أحد العناصر الذين يعملون في الكتيبة، والذي اعتاد الذهاب إلى المدرسة باللباس العسكري الكامل!
ناهيك عن إهانات وشتائم لا تنتهي كان يوجهها إلى المدرسين والإداريين في المدرسة، وعندما تمّ إعلام والده بحقيقة الوضع وأن ابنه راسب لا محالة؛ انتفض الوالد وأعلن أنه سيغلق المدرسة ولن يتوانى عن تفجيرها، فهو «ما سأل عن نظام بشار الأسد حتى يسأل عن نظام مدرسة»...!
بعد سنتين من عمر الثورة، ألا يحق لنا طرح سؤال عن جدوى الشعار الذي رفع في أيامها الأولى: «لا دراسة ولا تدريس حتى يسقط الرئيس»...
ماذا لو أن الرئيس لم يسقط خلال عشر سنوات، هل سيكون من الممكن حينئذٍ لجيل الجهلة الناشئ أن يطيح بالجاهل القابع في القصر الجمهوري...؟

فعلاً... الحب أعمى

علي الأمين السويد

كنت في الصف الحادي عشر العلمي في ثانوية ذي قار الحبيبة في كفرنبل، وكان الطالب عبد الخالق رياضياً من أذكياء الصف. انتبه مدرس اللغة العربية صدفةً إلى صورة شخص ملصقة على دفتر عبد الخالق العربي، فدار بينهما الحوار التالي:

الأستاذ: ما هذه الصورة التي على دفترك... يا عبد الخالق؟

الطالب: هذه صورة مارادونا يا أستاذ (استغرب عبد الخالق من أن الأستاذ لم يلحظ أنها لمارادونا).

الأستاذ: ومن هذا مارادونا؟ (الأستاذ فعلاً لا يعرف من هو مارادونا)

جحظت عينا عبد الخالق، وكتم ضحكةً ساخرةً من جهل أستاذنا بمارادونا.

الطالب: مارادونا يا أستاذ... مارادونا... أشهر لاعب كرة قدم في العالم.

الأستاذ: أي فهمنا... إنه مرطونا... لماذا وضعت صورته على دفترك؟

الطالب: لأني... لأني... أحبه.

الأستاذ: (وقف وقد بدت عليه المفاجأة وكأن أحدهم دلق عليه دلو ماء) تحبه؟!... هل قلت تحبه؟... هل يعرفك؟... لماذا تحبه؟ هل يضع صورتك على دفتره كما تفعل أنت بصورته؟ كطالب يا بني أقول إني أحب فلاناً من الصف ٢/١١ لأنه يلعب كرة القدم معي، أو لأنه يفضلني على غيري أثناء المباراة، أو لأنه يعطيني «باص» وأعطيه «باص»، أما ما تفعله فهو قلة عقل».

من المؤسف أن بعض الناس درجوا على القول إنهم يحبون فلاناً أو علاناً من الناس دون دليل ملموس على أن هذا الشخص أو ذاك يستحق تلك المحبة.

فقصة العجوز الثمانينية تكاد لا تفارقني؛ إذ لم تفارق عينها الدمعة حزناً على وفاة باسل الأسد، وكانت تنوح نواحاً عجيباً عليه حتى طقت مرارتها ولحقت به. فالذي جعلها تحب باسلاً الثلاثيني كل هذا الحب؟

حتى أن بشار الأسد كان محبوباً من قبل كثير من السوريين، وربما هذا الكثير يتجاوز الملايين التي شرّدها الآن في أصقاع الأرض. فما كان سبب حب الناس له غير زرقة عينيه، أو طول قامته، أو جمال زوجته؟

أما حسن نصر الله فكان معبود الجماهير في سوريا لدرجة أن أحدهم خاصمني لأني قلت إنه عدو للإسلام. وأقسم صديق آخر يميناً عجيبة بالطلاق أني وهابي ولا أعرف الدين. وهنا أيضاً وعلى الرغم من مشروعية الخطأ في هذه الأمور فإنه يبقى ثمة مجال للتساؤل عن سبب هذا الاندفاع الأعمى حول تقديس الأشخاص.

مارادونا وباسل وبشار وحسن نصر الله ومحمد مرسي وتشافيز والقذافي وصدام وجمال عبد الناصر وغيرهم شخصيات جعلوا من محبة الناس وسيلة لاستباحة حقوق الناس واستعباد المعجبين. وهذه المشاعر الغريبة لا تولد إلا في وسط فكر مريض يتمكن من الجمهور بشتى الطرق.

الحب شعور جميل نعطيه لمن يستحقه ممن تبلورت لدينا أسباب مادية وقطعية باستحقاقهم لمحبتنا، وهذا ينطبق على العلاقات الاجتماعية والأسرية الصرفة.

أما في عالم الحياة المدنية فليس من المفترض أن حب مديرك لك في العمل يجعله يتغاضى عن تأخرك خمس دقائق عن دوامك.

إن بناء الوطن يتطلب منا إرادة قوية لتحقيق أهدافنا بعيداً عن العواطف، فالعمل كما يقال: عمل، وبناء الوطن عمل. وإن كان زيد الذي أحبه سبباً في إعاقة العمل فلا يجب أن يمنعني حبي له من توجيهه، وإن لم ينفع التوجيه فإقصاؤه عبادة ونوعاً من الحب الكبير الذي يقدم مصلحة الوطن على مصلحة قلب المحب الصغير.

العقل الثوري

عبد العزيز الموسى

الفكر وعائلته من حكمة وعقل وترو وهدأة بال ومنطق وحسابات، عملات باطلة لا تجد أسواقاً لها هذه الأيام. بل أراها معيقة ومعرقلة في أوجه عديدة. لا عقل في مواجهة الموت المتنزل على العباد كما المطر. الدفع الغرائزي المتهيج قادر دون عقل على الوصول للمكان الذي يريد واقتلاع كل الذرائع المسقية بعناية عبر حلقات التاريخ الجائر.

السلطة مهمتها ككل سلطة استبدادية، إحكام سد الثغرات التي يرجح أن تنز منها الأخطار حتى لا يتخرب البنيان، قلاع السلطة لأول وهلة تبدو متينة ويصعب على الخاطر القفز عبرها فكيف ولوجها. هنا تلعب الغريزة التي من مزاياها ألا تكون غريزة وحسب، بل غريزة جائحة، عند هذه النقطة التي تعتد فيها الحسابات والمقارنات العقلية يصير امتشاق الغريزة وامتطاء الحمق عين الحكمة. سريعة وصارمة ومتشفية وستكون على المدى القريب، أشد نفاذاً وأثراً من كل الخطط المنطقية والحسابات الوقورة المتأنية. ومن هنا ومن غير أن نقصد أو نخطط تتخربط أوراق اللعبة وتتهاوى القلاع المشيدة بالحديد والصلب والقلم والفرجار, وهو بالضبط ما سينّظر له الناس لاحقاً في كتبهم ويصفونه بالحكمة. الغريزة العجماء، عند هذه المفاصل المنيعة عين السداد، وليس العقل الممدّد على أكداس من الخيبات والمخاوف، سواء أكان الذي يواجهك على الضفة المقابلة ديكتاتوراً طاغية غشوم أو كان تراثاً ثرثاراً يتعادل حضوره وغيابه على سلم الأولويات البشرية. الغريزة تتقحم بضراوة لفعل شيء، وتصل لمحرق الحقيقة أو ما يشبه الحقيقة بأقل قدر من الخسائر والخيبات وتعتبر أنه ليس عيباً أن تسجل هذه الخيبات على جداولها مع أن التاريخ أفهمنا أكثر من مرة أن: الفقراء وحدهم والضعفاء وحدهم يدفعون الفواتير طوعاً أو كرهاً لرفع مقامات بشر وخفض مقامات بشر في كل زمان ومكان .

الزعامة بين التوليد والتقليد

سليم المحروق

«أطفال جوهانزبورغ يتحلقون حول المشفى الذي يرقد فيه نيلسون مانديلا ويدعون له بالشفاء» هذا نص الخبر الذي احتل صدارة نشرة أخبار الـ BBC، ومن المعروف أنه قلما يرد في مقدمات نشرات هذه المحطة غير الخبر الهام. هذا الزعيم الجنوب إفريقي الذي قاوم الاستعمار الإنكليزي زمناً طويلاً، وشهدت له سجون المستعمرين إقامة ناهزت الثمانية والعشرين عاماً؛ أقسم أن لا يتراجع حتى تنال بلاده حريتها كاملة مهما غلت الأثمان.

وهكذا أذعن المستعمر لإرادة أبناء جنوب إفريقيا وتم لتلك البلاد تحقيق مطلبها في الحرية والاستقلال، واختير نيلسون مانديلا ليكون أول رئيس لها. وعند انقضاء فترته القانونية رفض الترشح لدورة جديدة وآثر أن يفسح المجال لرجل آخر من أبناء بلاده. نعم هذا هو نيلسون مانديلا الذي صار مضرب الأمثال في الإخلاص والوفاء والتضحية من أجل شعبه وحرية بلاده وفي الترفع عن منصب سياسي ولو كان منصب الرئاسة.

إذن فلم لا يتحلق أطفال جوهانزبورغ حول أسوار المشفى الذي يرقد فيه زعيمهم وكيف لا يدعون له بالشفاء، وهل كان دافعهم إلى ذلك غير قلوبهم الفتية وحبهم الصادق لزعيمهم. وكيف لنا ألا نتذكر غاندي الذي ساهم في تحرر الهند من حكم المستعمر الإنكليزي، وكيف لا نتذكر الجنرال ديغول ذلك القائد الفرنسي في الحرب العالمية الثانية وقائدها إلى نصر عالمي وقد أذعن لهزيمته السياسية التي خسر فيها ترشحه لرئاسة فرنسا وتقبلها بنفس راضية والأمثلة على أمثال هؤلاء الزعماء كثيرة وكثيرة فأين زعماؤنا من هؤلاء الرجال فإلى متى نظل نحن مهووسين بمجد الزعامة وتظل نفوس زعمائنا حبيسة ذلك القفص الذي من بين قضبانه يتشطرون والذين لا يشاهدون في شعوب بلادهم غير أقزام وأزلام وعملاء وإرهابيين خارجين عن أحكام الأعراف.

وهل يحكم القزم غير القزم؟

المقاومة والممانعة: المذهب الخامس في «الإسلام البعثي»!

أحمد كالو - خاص الغربال

تقول طرفة سورية أنّ طائرة تعرضت لعطل فطلب قائد الطائرة من كل قوم أن يضحوا براكب منهم، حتى تنجو، فتقدم الروسي وقال: من أجل أن يعيش بقية الركاب الروس في الطائرة ويصلوا سالمين أضحي بنفسي في سبيلهم ورمى بنفسه. وتقدم فرنسي وقال من أجل الركاب الفرنسيين من الأطفال والأمهات والعجائز أضحي بنفسي. ثم قذف بنفسه من غير مظلة طبعاً. ولما جاء دور السوري المقاوم والممانع قال: من أجل المقاومة والممانعة، وفي سبيل دولة البعث والتقدم والاشتراكية وسيادة الرئيس أضحي ثم رمى بأقرب راكب سوري - وتذهب أقوال إلى أنه لبناني- إليه!!

المتبعثون كانوا يدركون أهمية الجهاد، ليس استجابة لمدلول الحديث الشريف «ذروة سنام الإسلام الجهاد»، بل لأن كل دولة ليس لها قوام وبنيان ديمقراطي واضح تحتاج إلى عدو حتى تعيش عليه كالطفيلي، ولأن الجهاد مفهوم إسلامي فقد علمنته فأصبح اسمه الفني المقاومة والممانعة. أما حرب تشرين التي يتم التباهي بنصرها فهي ثمرة إستراتيجيه، والثمرات الإستراتيجية لا يجري قطفها إلا بعد ثلاثين سنة على الأقل، وقد قطفها الجيش السوري، ثم زجّ بفرسانه وضباطه الميامين في السجون لأنهم رجعيون وخونة ويتصلون بالله عز وجل بالدعاء وتلك خيانة ما بعدها خيانة.

يمكن أن نقول ونحن بكامل قوانا العقلية أن التعبئة السورية استمرت، ليس كما فعل أنور خوجة في ألبانيا عندما ملأها بالخنادق والثكنات خوفاً من العدو؟ فسورية المقاومة تعمر عمارات وأبنية بلا أقبية!!

أصبحت سوريا عشوائية العمران بعد الانتصار (٤٠٪ من السكان) وهو الأمر الوحيد الذي يزهّد في العيش من غير أن يرغب في الآخرة. استمر لعن «أداة الصهيونية العميلة» في المدارس صلاة صباحية بدل صلاة الفجر، وأصبح خيارنا مع «المؤدي» هو السلام الإستراتيجي! ولم تتوقف الاحتفالات والمهرجانات كسلاح تعبوي في دولة المقاومة، وتطورت الدراما لتسلية الشعب المنتصر على الأداة العميلة: فمن فانتازيا تاريخية لأن التاريخ الحقيقي مخيف وكوميديا؛

ضيعة ضايعة (فانتازيا مكانية) ويوميات مدير عام (فانتازيا إدارية) الذي ينتهي بكلمة: عوجة، أي لوز وجوز. وبات سيد الشهداء هو شاب متهور مات في حادث سير، وأشهر مقاتل هو «الهوى سلطان» وأشهر ممرضة للجرحى هي بطلة مسلسل صبايا التي انتخبت ملكة للإثارة إلى جانب الثنائي «هيفا وهبي»!

طبعاً لم يحدث أن قام الشعب السوري بمظاهرة «عفوية» تضامنية مع الشعب الفلسطيني- خوفاً من المندسين- وتمّ قصر المظاهرات العفوية على فنانين يضعون الأعلام الفلسطينية المصممة كشالات (وربما لاحقاً كثياب داخلية ومناديل) مدة نصف ساعة أمام عين الكاميرا التي تبلى بالعمى. والمظاهرات تجري في الليل من أجل النضال بنيران الشمعة ضد نيران الفوسفور الأبيض والهمفي والعوزي.!!

وبما أننا بدأنا بتعريف ذروة سنام الإسلام، وقد ورد التعريف في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل «ألا أخبرُكَ بِملاكِ ذلِكَ كلِّهِ؟ قلتُ: بلَى، فأخذَ بلسانِهِ، فقالَ: تَكُفُّ عليكَ هذا قلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ وإنَّا لَمؤاخذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ قالَ: ثَكِلتكَ أمُّكَ يا معاذُ وَهَل يُكِبُّ النَّاسَ على وجوهِهِم في النَّارِ، إلَّا حصائدُ ألسنتِهِم».

جماع الأمر كله» في دولة المتبعثين القرامطة هو اللسان أيضاً لكن مقلوباً: نافق، اهتف، صفق... اكذب على نفسك ومديرك ورئيسك الدمقراطي، وعلى صاحبتك وبنيك وفصيلتك التي تؤويك.. اكتب التقارير ودسّ على أهلك وزملائك تصبح أحسن مقاوم ومناضل سوري! واليد العليا هي التي تصفق وتسرق في دولة البعث.

من العقل وتحت: ذهنية الاستبغال

أحمد اليوسف - خاص الغربال

كما أنه ثمة ما هو تحت الزنار؛ هناك أيضا ما هو تحت العقل، والذي يحيل، في هذا السياق، على الانحطاط المعرفي. وغريبة هي علاقة الأخلاق بالمعرفة، إذ ينسب لسقراط الحكيم فكرة مفادها أن الخير معرفةٌ، وأن الشر جهلٌ، وأن الانسان لا يفعل الشر إلا لجهله بالخير. كما ينسب الى شيخ الفلاسفة أفلاطون أنه شبّه فضيلة العدالة بعربة يجرها بغلان (وقيل حصانان) يمثلان قوتين نفسيتين هما القوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة، والقوة الشهوانية وفضيلتها العفة؛ وتخضع هاتان القوتان، أو ينبغي أن تخضعا، للقوة العقلية وفضيلتها الحكمة. وإذا كانت الفضيلة وسطاً بين رذيلتين كلتاهما إفراط أو تفريط، كما يقول فضيلة الفيلسوف أرسطو، تصبح الحكمة حينها هي الفضيلة ذاتها. فما من شجاعة إلا بانسجام القوة الغضبية مع العقل الذي يحدد لها ما ينبغي عليها فعله، ومتى وكيف ينبغي أن يتم هذا الفعل؛ فالشجاعة هي فعل ما ينبغي فعله. وتوازن الإفراط والتفريط هذا هو وسطية حكمت نظريتنا الأخلاقية الإسلامية حتى قيل إننا أمةٌ وسطٌ، وإن خير الأمور أواسطها.

وما من وسطية حقيقة إلا بعقل يضبط «بغال» العربة في سيرها نحو وجهتها الفعلية. ولأن الخير معرفة، فقد سمى المسلمون الأوائل حقبة مكارم الأخلاق الناقصة بـ «الجاهلية»، وحقبة أخلاق يقودها الرشد بـ «الإسلام» الذي قيل فيه إنه ثورة أخلاقية على الجهل، وثورة معرفية على الظلم. و(الثورات بالثورات تذكر)، فنحن اليوم نعيش ثورة على نظامٍ جعلنا نعيش أبديتين متتاليتين في وطنٍ يُقاد بذهنية الاستبغال، عبر قوتين، شهوانية وغضبية، أفرط باستخدامهما واضعاً العقول رهن الإقامة الجبرية. وأدت سياسة اللبط السياسي، والجشع للاستفراد، إلى إفقار البلاد معرفياً وأخلاقياً وحتى روحياً، لتتحول كل الأماني وكل التطلعات لدينا، بوصفنا شعباً، الى مكبوتاتٍ نفسيةٍ أخذت تتخمر في دهاليز تحت العقل في حاضنةٍ لاشعوريةٍ، تغيب عنها رقابة الوعي الحكيم والوجدان الأخلاقي. وهكذا، عندما سقطت سطوة البغال الخارجية فجأة، خرجت مكبوتاتنا المقموعة دفعة واحدة في تصعيداتها الفنية الغنائية الاستعراضية الاحتجاجية الجميلة حيناً، وفي شحيجات (جمع شحيج: صوت البغال) عنترية منتقلة بعدوى البغلية التي نثور عليها، أو كرواسب لموروث الاستبغال الذي دخلت قيمه إلى لاوعينا الجمعي لتعيق عملية استرجاع أنانا المقصية.

وكنا محكومين منذ البداية في خروجنا عن زنازين مكبوتاتنا بتمايزنا عن نظام الاستبغال، فقابلنا طائفيته بالوحدة الوطنية، وعنفه بالسلمية، وأنانيته بالجمعية، إلى أن راح يبحث في مكبوتاتنا عن شيء يشبهه. ونظراً إلى أنه للإنسان حدود في صبره وفي قدرته على تحمل الضيم، فقد بالغ النظام في ضيمه حداً تجاوز كل عتبات التحمل، فكان له ما أراد بأن حمل الناس السلاح دفاعاً عن النفس، مستدعية ما لديها من قوة غضبية. وكان بالحسبان حقيقة عنف النظام في بلوغه عتبة اللااحتمال، ولكن الذي لم يكن بالحسبان شهوانية المعارضة المنفلتة من كل عقال، والتي حولت محنة الناس الدموية في صراعها مع عدمية العسكر إلى سجالات ترفية بين من يمثل الشعب أكثر، وبين من هو قاعد في بيته بالداخل السوري وبين من هو قاعد في بيته في الخارج، وبين يسار ويمين، بينما لا يميز النظام في قطعه لأعضاء الأطفال بين يسراهم ويمناهم.

وانفجرت مكبوتات رجال الدين التي فهمت، في سنيتها وفي شيعتها، دينها على أنه طلاق مع العقل، لتزيد الطين بلة في محنتنا، ولتحرض، في فتاويها الاستبغالية، على فتنة طائفية، ولتحوّل مطالب التحرر إلى صراع عمائم، ولتضيع بين تكفير وتكفير مضاد، متناسية مطالب الناس الوجودية وهي بأن يعيشوا أحراراً كرماء.

وهكذا يبدو أن علينا اليوم أن نستعيد زمام الأمور في حذرنا من كل عمليات الاستبغال العسكرية والأيديولوجية والدينية، وفي ترجمة مكبوتاتنا، لننتقل من احتجاج بَوحيٍّ سخطيٍّ، إلى مطالب سياسيةٍ مصاغة بقيم التحرر والعدالة الاجتماعية والاستقلال عن كل وصاية؛ بعدما اكتشفنا، في لحمتنا الداخلية، أن العقل ليس محض إدراك معرفي، بل هو فعلُ تعاضدٍ إنسانيٍّ أخلاقيٍّ مناقضٌ، تماماً وبالكامل، لذهنية الاستبغال.

معارض خمس نجوم

خطيب بدلة - خاص الغربال

سأحكي لكم حكاية، بل هي واقعة حقيقية، يمكن أن تجدوا مثيلات لها كثيرات في واقعنا السوري، الثوري، الجهادي، الكفاحي، النضالي، المؤزّر..

ففي ذات نهار ربيعي بعيد، وكنا في قرية حزانو، خرجنا للصيد.. وفجأة، لمح ابنُ خالتي أبو أحمد، وهو الصياد الماهر، البارع، المحنك، حيواناً سميناً، بليداً، ذا جلد سميك، يسمى (الغرير). عاين عليه، سدد، (سَكْمَن)، أطلق.. دي دي بم.. أصابه في مقتل!..

الغرير، من حلاوة الروح، والتمسك بأهداب الحياة، انجرد مثل السهم، هرب، نط فوق الصخور، ونحن نتابعه بأبصارنا، حتى دخل في وكره..

قال أبو أحمد لصديقنا الهزلي عبد الله الحَشَّاش: هيا عبد الله، مد يدك إلى الوكر، اسحب الغرير، خلنا نجهزه ونتغداه، وليكن في علمك أن لحمه لذيذ..

قال الحشاش، متوجساً: وبركي عضني؟

ضحك أبو أحمد، حتى غارت عيناه، وقال: كيف يعضك وهو ميت وشبعان موت، أنت ما شفتني لما أصبته، وقتلته، بالجفت؟!

فكر الحشاش قليلاً ثم قال لواحد من أبناء أبو أحمد: تعال عمو.. مد يدك واسحب الغرير!..

فجأة انتفض أبو أحمد وقال لابنه: لا. دير بالك ابني! أوعى تمد يدك. والله إذا تمكن منها الغرير، وأطبق عليها بأسنانه على هيئة (قفل ومفتاح)، فإنه يقطعها!

دهشنا، ودهش عبد الله الحشاش وقال له: يخرب ديارك يا أبو أحمد.. لكان أنا يدي من دَفّ؟!!

أتذكر هذه الواقعة كلما رأيت معارضاً سورياً (متبروظاً) على إحدى القنوات الفضائية، وهو قاعد يبيض بيض (حباري) كبير من مؤخرة عصفور دوري.. لا يترك شاردة أو واردة من مصطلحات الشعب، والأمة، والحرية، والدين، والإيمان، والورع، والتقى، والصمود، والتصدي، والتضحيات،والمواجهة، والتحمل، والتقشف،والرفض، والمساعدة، والإغاثة، وشعبنا، وبلادنا، وأولادنا، وأهلنا، وبيوتنا، وأعراضنا.. إلا ويتشدق بها.. فما إن تشكره المذيعة، ويسحب منه الفنيون اللواقط والميكروفونات،ويناولونه أجرة الظهور على الفضائية التي كان يبيض لها، حتى يبدأ البحث عن سيارته، ومرافقيه، و(شبيحته)، وإذا نقصت نجمة واحدة من نجوم الأوتيل الذي ينزل به هو، وأسرتُه القريبة، وعائلتُه المقربة، وأباعدُه، فإنه مستعد أن يلعن سنسفيل الثورة، والثوار، والمعارضة، والحرية، والديمقراطية، والجهات الداعمة التي لم تقدر جهده، وتضحيته، وذكاءه، وفهلويته، وألمعيته، حق قدرها!

في هذه الثورة المباركة عشرات، بل مئات، بل ألوف، من مثل هذا المعارض المُطَعَّم على (غرير).. يأكل ويشرب، وينبسط، ويختبئ في فنادق الـ خمس نجوم، يبيع، ويشتري، ويقايض، ويقبض، وكلما استشعر- بأنفه الشبيه بأنف (بدري بيك أبو كلبشة)- الخطرَ في مكان ما، تراه ينط، ويقفز، مثل الغرير، إلى وكر آخر..

وفي هذه الثورة، نفسها، رجال حقيقيون، يعملون، ويكدحون، ويضحون، ويواجهون، ويتحملون، ويصرون على الخلاص من الاستبداد، وبناء دولة العدل والحرية والمساواة..

وفيها أيضاً.. مكنسة كبيرة.. لا شك أنها ستكنس الوسخ والقمامة..

هذه اسمها حركة التاريخ.

الثورة بدأت، وسوف تستمر.. وسوف تغير وجه التاريخ.

السوريون يمدون ألسنتهم للطاغية

عمر قدور - خاص الغربال

«قديش بتعمل بالتنكة؟»؛ سؤال متداول يطرحه السوري عن مدى اقتصادية السيارة، لمعرفة المسافة التي تقطعها السيارة لقاء تنكة «٢٠ ليتراً» من الوقود. أحد المدونين السوريين على الفيسبوك يحرِّف السؤال ليصبح: «قديش بتعمل الميغ بالتنكة؟».فتأتي الإجابة: «على الأقل، خمس بنايات وحوالي تسعين قتيلاً». سبق أيضاً، مع دخول دبابات النظام إلى مدينة حمص، أن أنشأ أحد المدونين صفحة باسم «مغسل ومشحم حمص الدولي للدبابات»، مفتتحاً بها موسماً من التندر على آلة الحرب التي راحت تدك بيوت المدنيين.

يمثل هذه السخرية ينتزع السوري ابتسامته من تحت أنقاض القصف، سخرية تحمل خصوصية ما يكابده السوريون، لكنها ليست المرة الأولى التي يجترح فيها شعب الفكاهة من ثنايا المعاناة، إذ لطالما كانت السخرية ملاذ المقهورين. مع ذلك سيكون للسخرية السورية اعتبارٌ خاص، بوصفها افتراقاً عن الرطانة والسماجة البعثيتين.

بسبب الحكم المديد للبعث لم يُعرف السوري كصاحب نكتة، وتغلبت عليه صورة السلطة وشعاراتها وإنشاؤها الممل عن القضايا الكبرى. فضلاً عن ذلك كانت الرقابة تضيّق دائماً على مساحة الحرية الضرورية لانتعاش السخرية، ولم يكن ممكناً تداول بعض النكات إلا همساً.

على العموم لا تعترف السلطات التقليدية بالسخرية كطريقة من طرق المعرفة، ومن الأولى ألا تعترف بها الديكتاتورية، وأن تعمل في الحد الأدنى على الحط من قيمتها، أو دفعها إلى مقام التهريج السطحي، وأن تسعى في المقابل إلى الإعلاء من شأن الطاغية، وترسيمه كخلاصة للمهابة، وبالتالي امتناعه عن أن يكون موضوعاً للتندر. على ذلك لن يكون مستغرباً الحجم الهائل من التندر الذي حظي به رأس النظام السوري، فالسخرية بهذا المعنى هي انتقام من القداسة التي أصبغتها ثقافة الاستبداد على شخص الطاغية، هي إنكار لكل ما حاول الطاغية تعزيزه عن نفسه من صفات تعلو به عن البشر العاديين، وبالتالي قد تغالي في إعادته لا إلى حجمه الواقعي وإنما إلى ما يبدو دون الواقع.

لكننا أيضاً نجافي الواقع عندما نقرأ هذه السخرية في إطار النقمة العابرة وحسب، فمن المنتظر في نظام ديمقراطي أن تنال حصة أكبر من الاعتراف الثقافي والمجتمعي، وأن تكفّ عن كونها مجرد باب خلفي للتنفيس عن الاحتقانات؛ بخاصة أنواع الكبت في الديكتاتوريات التقليدية والتي تتمحور حول السياسة والدين والجنس. لقد أثبتت الديمقراطية على المستوى الكلي أن ما كان يُعدّ فناً أدنى حظي بالفرصة لتعزيز مواقعه باطراد، بالتزامن مع ما نالته الفئات المهمشة من حق في المشاركة السياسية، لذا من المأمول ألا يقتصر أثر الثورة على المستوى السياسي، أو على زمن حدوثها، بل أن تطال لاحقاً البنية والتراتبية الثقافية التقليديتين. بانتظار ذلك الأثر المديد لا بأس في أن نستمتع بما درج على تسميته بـ«سخرية القدر»، فالثورة تؤوّل هذا المجاز بأن القدر لا يكون رحيماً البتة عندما يسخر من الطغاة.

الليشمانيا «حبة السنة»

د. عبد الإله الإسماعيل

سنعرض في هذه العجالة لمرض اللايشمانيا الجلدية الذي كان يُعدّ منذ فترة بسيطة من الأمراض البائدة أو النادرة، إلا أنه عاد للانتشار بعد عامين من الحصار الخانق للمناطق المحررة، وذلك لكثرة العوامل المهيئة لانتشار الأوبئة كأكوام النفايات والمجارير المفتوحة وعدم فعالية البلديات في أمور النظافة والتقصير في مكافحة الحشرات والحيوانات التي تنقل العدوى.

ذبابة الرمل - أهم الحشرات الناقلة للمرض

فمن الملاحظ أنه كان يُسجل تشخيص ثلاث أو أربع حالات من اللايشمانيا خلال السنة في العيادة، أما حالياً فنسجل حالة واحدةعلى الأقل أسبوعياً، ولذلك وجب علينا دق ناقوس الخطر والانتباه وأخذ الحيطة والاستعداد لمواجهة هذا الوباء.

تقديم:

حبة السنة مرض يسببه طفيلي (كائن حي دقيق وحيد الخلية) ينتقل للإنسان ولبعض الحيوانات كالقوارض والكلاب عن طريق بعض أنواع البعوض.

وغالباً ما تتوضع هذه الآفة على المناطق المكشوفة من الجسم، كالوجه واليدين والساعدين والساقين والقدمين، ولا علاقة لتسميتها بفترة شفائها، فهناك أنواع تشفى بعد ٨-١٢ شهر تاركة وراءها ندبة وهناك أنواع تستمر سنوات عديدة.

التشخيص:

تشخيص داء اللايشمانيا الجلدية سهل وذلك من مظهر الحبة الوصفي على الأماكن المكشوفة، ويمكن أن نستأنس بالقصة السريرية وقد نلجأ إلى المخبر من أجل إثبات التشخيص. علماً أن إجراء الفحص المجهري المباشر يتطلب مهارة جيدة من الطبيب المخبري الذي يقوم بذلك الفحص.

العلاج:

يعتمد علاج اللايشمانيا على إعطاء مركبات الغلوكانتيم عن طريق الحقن العضلي أو الحقن الموضعي مع الانتباه في حال وجود أمراض قلبية أو كبدية أو كلوية.

كما يجب ملاحظة أنه يُمنع إجراء التجريف الجراحي للآفة، تفادياً لخطر انتشارها عن طريق الأوعية اللمفاوية، كما يمكن علاجها أيضاً بالكي البارد.

الوقاية:

أما الوقاية فتكون على منحيين:

- القضاء على الحشرة الناقلة للطفيلي وعلى الحيوانات المستودع (الجرذان والكلاب).
- إعطاء اللقاح المعطّل للأشخاص المتواجدين في المناطق الموبوءة.

ولأن الوقاية خير من قنطار علاج؛ وجب علينا نشر الوعي بين الناس ومناشدة الجهات الفاعلة لتأخذ دورها في الحد من انتشار هذا الوباء، مع العلم أن فصل الصيف قد أصبح بيننا وإن لم نأخذ بالحسبان التوصيات السابقة؛ فإن هذا المرض قد يتحول إلى وباء لن ينجو منه أحد.

القصيدة المتآمرة

عبد الرحمن الإبراهيم

بين «ريتّا» واحتلالي لعنةٌ كبرى
نسمّيها: القضيّةْ
عند ريتّا
يُطلق «الدرويشُ» شعراً
كالذي من بندقيّةْ
شاهراً في وجهها سيفَ العروض المقدسي..
يستنفرُ البوليسُ جمعاً
يمنعُ التّزميرَ في حارتها
يسقي عروقَ الفلّ في أبوابها حيناً
وحيناً آخراً يستغفرُ الأنسامَ في شبّاكها
كي تستوي، فوق الغرام، القافيات «الفتحويّةْ»!
وأنا شكّلتُ حرفاً عند ليلى
يعبدُ الكحلَ الذي في رمشها
فاتّهمتني واستعانتْ بالفروع الأمنويّةْ!
واحدٌ يجدلُ سوطاً عنصريّاً
يتشهّى جَلْدَ ظهري
كيف لا يحمل ظهري خَيْشَةً مملوءةً با لو طنيّةْ ؟!
واحدٌ يستعمل السيجارَ محشيّاً بتبغٍ طائفيٍّ
يبتغي تأديبَ عيني
كيف كانت لا ترى -أي قبلما يطفئه في مقلتي- شمسَ النقاء الأسديّةْ؟!
واحدٌ يسكبُ بولاً مذهبيّاً في فمي..
مُستهدفاً تهذيبَه..
مستغرباً من أنّه..
ما ذاقَ يوماً طعمَ خمر الأخويّةْ
واحدٌ سكّينه مسنونةٌ بالباطنيّةْ
حاقدٌ.. يحذفُ من كفي ثلاثاً
كي يتوبَ الكفُّ..
عن زرع المعاني الأمويّةْ
بينَ أعشاب الحروف الهاشميّةْ

واحدٌ لا يعلمُ الأحياءُ ما يُخفي لهم..
من نعمةٍ، في قبوه
إلا الذين استبدلوا الدنيا..
بدار الأبديّةْ!
فالذي يعرف ريتّا
يتوضّا ويصلّي..
ليميتَ الله ليلى العامريّةْ
عند ريتّا.. يسلبونَ الأرضَ من أصحابها
من بعد تعويضٍ سخيٍّ بالألوف الذهبيّةْ
عند ليلى.. يسلبونَ النّاسَ من بلدانهم.. من أرضهم..
من بيتهم.. من جلدهم.. من ثوبهم.. من نعلهم.. من دينهم..
من كلّ شيءٍ
ثمّ تأتي لاحتلال الباقيات الصالحات..
الوحدات التتريّةْ
كلّ يومٍ عند ريتّا
ينبشُ الأطفالُ، من أبنائنا، أعراضَ «ياهو»
يرشقون الجندَ بالأحجار والأقذار..
يُلْقَى فوقهمْ غازاً مسيلاً
وببعض الدمع تُنْهَى العمليّةْ
جربَّ الأطفالُ يوماً، عند ليلى، عمّهمْ
فاستراحَ العمُّ منهم.. بالرؤوس النوويّةْ!
عند ريتّا.. يجرح المحتلُّ منّا واحداً.. يُسعفه!
كي لا تموت النّخواتُ البدويّةْ
أو يموتَ الحسُّ بالإنسان..
عند الجاليات الصهيُنيّةْ
عند ليلى.. يقتلُ الأخُّ أخاهُ.

ثمَّ لا يعطيه قبراً أخويّاً!
كالذي في يوم «صبرا والتّلال الزعتريّةْ»
أيُّ مسحوقٍ غبيٍّ
سيعادي، بعد هذا، وجهَ ريتّا
ويصلّي للأفاعي في الثياب العامريّةْ
بين ريتّا واغتصابي
نَصْلُ سرٍّ مُغمدٌ في مهجتينا
جعلَ العصفورَ فينا -وسيبقى- مؤمناً بالبندقيّةْ
فلماذا نصفُ ريتّا
دعمَ التشبيحَ حتّى صار ديناً في البلاد الثورجيّةْ ؟!
وهمُ من قاوموها.. أولاً!
من مانعوها.. ثانياً!
من نصّبوا أنفسهمْ حرّاسَ أبواب القضيّةْ

مطلع القصيدة مقتبس من قصيدة للشاعر محمود درويش

الغدفة في ٢٠١٢/٩/٢٥

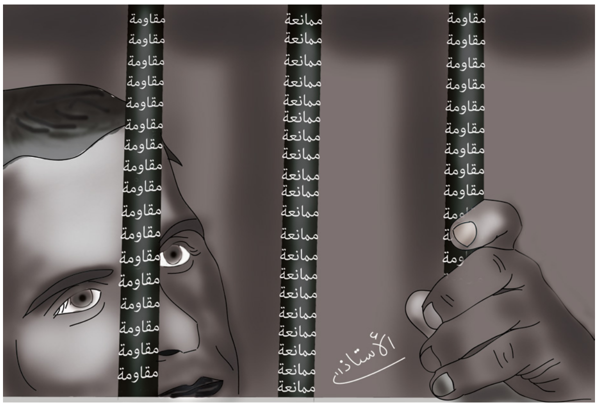

يوميات رفيق...

لقاء صحفي ولكن...

كنت ماراً في السوق عندما رأيت رجلاً أنيقاً يرتدي ثياباً رسمية، فقلت في نفسي: لابدّ أنه صحفي، فسلمت عليه بحرارة وأصريت أن أدعوه على الغداء لكي أشرح له أمور مدينتنا، وقلت في نفسي: يجب أن أترك عنده انطباعاً جميلاً عن مدينتنا وثوارنا.

بعد الغداء أخذت نفساً عميقاً وقلت له: نعم، هذه هي كفرنبل، قلعة الثوار ومنبع الثورة في هذه المحافظة، من هنا انطلقت الشرارة الأولى للثورة، ومنذ أن تحرّرت مدينتنا تم تشكيل مجلس لقيادة الثورة فيها يضمّ كل أطياف المجتمع من ثوار ووجهاء ومشايخ ومثقفين! مهمّتهم هي تسيير أمور مدينتنا وحل جميع مشكلاتها!

أما الإغاثة فهي لا تتوانى عن توزيع المساعدات على الأهالي بدون استثناء، وبفضل نشاطهم الدائم لن تجد في كفرنبل كلها محتاجاً واحداً!

وأما الكتيبة الأمنية فتوكل لها المهمات الصعبة التي تتعلق بالثوار وتسيير الدوريات الليلية لحفظ الأمن، ومنذ التحرير لم يسرق في كفرنبل موتور واحد.

أما الكتائب الموجودة في المدينة فهي تتسابق مع الكتائب الأخرى للذهاب للقتال في وادي الضيف والحامدية وجميع الجبهات القريبة والبعيدة.

وأخذت أتكلم وأتكلم عن مدينتنا وبطولات ثوارها، وفي النهاية سألته: في أي الصحف العربية تكتب؟

فقال: أنا لست صحفياً.

فقلت بذهول: ومن تكون إذاً؟

فقال: أنا مندوب مبيعات، وكنت أريد أن أعرض عليك نوعاً جديداً من بسكويت «الكابتن ماجد»...!

رفيق الحروب